



شِعْرُ الْحَمَاسَةِ

أَهْمُ مَصَادِرِ فَضَائِلِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ

شِعْرُ الْحَمَاسَةِ، هُوَ شِعْرُ الْحَرْبِ الَّذِي يَصِفُ الْمَعَارِكَ وَيُشِيدُ بِالْأَبْطَالِ وَيَتَوَعَّدُ الْأَعْدَاءَ، كَمَا يَبْدُو هَذَا الْغَرَضُ أَيْضًا فِي رِثَاءِ أَبْطَالِ الْحُرُوبِ، أَوْ فِي مَدْحِهِمْ، أَوْ فِي سِيَاقِ فَخْرِ الشَّاعِرِ بِبُطُولَاتِهِ فِي الْحَرْبِ، وَقَدْ امْتَزَجَ بِوَصْفِ الْمَعَارِكِ وَالْإِشَادَةِ بِالْبُطُولَةِ.

وَلَيْسَتْ الْحَمَاسَةُ غَرَضًا شِعْرِيًّا قَائِمًا بِذَاتِهِ ضِمْنِ أَغْرَاضِ الشَّاعِرِ الْعَرَبِيِّ الْمَعْرُوفَةِ التَّقْلِيدِيِّ مِنْهَا وَالْمُحَدَّثِ، وَإِنَّمَا هِيَ أَبْيَاتٌ وَمَقَاطِعُ شِعْرِيَّةٌ نَعُتُّ عَلَيْهَا ضِمْنِ أَغْرَاضِ الشَّاعِرِ الْكَلَّاسِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ مِنْ مَدْحِ وَرِثَاءِ وَفَخْرِ وَهَجَاءِ، وَذَلِكَ يَعْنِي - مِنْ ضِمْنِ مَا يَعْنِيهِ - أَنَّ الْغَرَضَ الشَّاعِرِيَّ يَظَلُّ الْقُوَّةَ الْمَوْجَّهَةَ لِلْقَوْلِ حَتَّى وَإِنْ اسْتَعْرَقَ الْمُقْطَعُ الْحَمَاسِيُّ مَجْمَلَ الْقَصِيدَةِ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفِي اشْتِرَاكَ الشَّاعِرِ الْحَمَاسِيِّ فِي جُمْلَةٍ مِنْ الْخَصَائِصِ الْفَنِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ رَشَّحَتْهُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَيْئَةٍ مَخْصُوصَةٍ إِنْشَاءً وَتَقْبُلًا، وَتَتَعَلَّقُ أَسَاسًا بِوَصْفِ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَرْبِ وَالْبُطُولَةِ فِيهَا وَتَتَغَنَّى بِخِصَالِ الْقَادَةِ وَمَآثِرِهِمْ وَتُجَدُّ إِنْجَازَاتِهِمْ الْعَسْكَرِيَّةَ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَمَاسَةَ بِهَذَا

وَقَدْ كَانَتْ قِصَائِدُ الْحَمَاسَةِ مَادَّةً لِلْهَابِ مَشَاعِرِ الْمَحَارِبِينَ، كَمَا عَدَّهَا مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ مَصْدَرًا مُهِمًّا لِتَارِيخِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَأَنْسَابِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، كَمَا كَانَتْ نَمَازِجَ رَفِيعَةً لِشُعْرَاءِ الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلَفَةِ.

وَكَانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَظَلَّ هَذَا الْغَرَضُ قَائِمًا فِي الْعَصْرِ الْإِسْلَامِيِّ، فَفِي صَدْرِ

الْإِسْلَامِ فَاضَتْ قَرَائِحُ شُعْرَاءِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِحَمَاسِيَّاتٍ تُصَوِّرُ غُزُواتِهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْ فَخْرِ الشَّاعِرِ الْمُسْلِمِ بِشَّجَاعَتِهِ، وَتُشِيدُ فِي سِيَاقِ الرِّثَاءِ بِشَّجَاعَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشَّجَاعَةِ مَنْ لَقِيَ رَبَّهُ مِنْ شُهَدَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

وَفِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ وَمَا يَلِيهِ مِنْ عُصُورٍ يَظَلُّ الصَّرَاعُ مُسْتَدًّا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَخُصُومِ عَقِيدَتِهِمْ مِنَ الرُّومِ

وَالصَّلِيبِيِّينَ وَالْمَغُولِ، وَتُثْمِرُ تِلْكَ الْحُرُوبُ فَيَضُأُ زَاخِرًا مِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ.

وَيَقِفُ فِي مُقَدِّمَةِ

الْحَمَاسِيِّينَ أَبُو تَمَّامٍ، وَمِنْ نَمَازِجِهِ الرَّفِيعَةِ بَاطِنُهُ الشَّهِيرَةُ:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

وَقَدْ مَضَى الْقَوْلُ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ وَقِصَائِدِهِ فِي مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الَّتِي هِيَ أَرْفَعُ نَمَازِجِ الْبُطُولَةِ فِي ذَاكِرَةِ أَبِي الطَّيِّبِ، وَتَعَدُّ بِحَقِّ أَرْفَعِ مَا فَاضَتْ بِهِ الْقَرَائِحُ مِنَ الْحَمَاسِيَّاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، سِوَاءً فِي دِقَّةِ وَصْفِ الْمَعَارِكِ وَالْجِيُوشِ وَالْأَسْلِحَةِ، لَدَى الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ، أَمْ فِي تَصْوِيرِ شَّجَاعَةِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَجُنُودِهِ.

وَفِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، تَفِيضُ قَرَائِحُ الشُّعْرَاءِ ابْتِدَاءً مِنَ الْبَارُودِيِّ، خَاصَّةً فِي قِصَائِدِ الْفَخْرِ الَّتِي رَدَّدَهَا فِي سَرْنَدِيبِ (سِرِيلَانْكَا)، كَمَا أَثْمَرَتْ فَرِيحَةَ أَحْمَدَ شَوْقِي الْفَذَّةَ حَمَاسِيَّاتٍ أُخْرَكَانَ يَصِفُ بِهَا مَعَارِكَ الْعُثْمَانِيِّينَ، كَمَا أَنَّ قِصَائِدَ شَوْقِي الْوَطَنِيَّةَ نَعَدُّ بِحَقِّ شَكْلًا جَدِيدًا مُتَطَوِّرًا مِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ.

الْحَمَاسَةُ مُرَاوِحَةٌ بَيْنَ تَصْوِيرِ الْبُطُولَةِ وَالتَّغْنِي بِالْبَطْلِ حَامِي الْعَرَضِ وَالْأَرْضِ وَالِدِينِ

وَالْحَمَاسَةُ أَيْضًا مُرَاوِحَةٌ بَيْنَ تَصْوِيرِ الْبُطُولَةِ وَالتَّغْنِي بِالْبَطْلِ حَامِي الْعَرَضِ وَالْأَرْضِ وَالِدِينِ وَالِدُنْيَا، فَضْلًا عَنْ تَرْسِيخِ انْتِصَارَاتِ الْجَمَاعَةِ وَالذَّاتِ وَتَسْوِيعِ الْمَهْزَائِمِ، وَهُوَ أَيْضًا احْتِفَاءً بِالْقِيَمِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَصِيلَةِ وَالْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْكَوْنِيَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ.